لو لم تقم لجلها قام نصب يا عنا للحد بل لان تلك الطينة تمالا خصوصية لها في كونها محمودا عليها
بل مد خلقها في كونها محمودا به ومحمودا
عليها على السواء
ثمت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كرم بني آدم وفضلنا على سائر الامم والصلوة على اصحاب الشرايع هداة السبل
خصوصا على نبينا محمد اكمل الانبياء وافضل الرسل فهذه رسالة معمولة في تحقيق
تلك المقالة فنقول ومن الله التوفيق اول الانبياء آدم عليه السلام وآخرهم بعثة محمد عليه السلام
وهو افضلهم باجماع المسلمين وانما فضلنا آخرهم بعثة لان آخرهم دعوة تلحق الى الحق دعوة عيسى
لما روى في صحيح البخاري عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله ع والذي نفسي بيده
ليوشكن اي ليقربن ان ينزل فيكم يعني من السماء ابن مريم حكما قسطا اي حكما عدلا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير اي يرفع الرخصة فيهما لابطال شريعة النصارى
كما توهمه الكرماني لانها قد بطلت قبل ذلك بنزول شريعتنا بل ابطال حكم الذمة ورخصة
ترك اهلها على ما يدينونه على ما افصح عنه بقوله ويضع الجزية اي يرفعها عن اهل الذمة
عامة لا عن النصارى خاصة كما توهمه كلام الكرماني ويكون الامر وائرا بين الاسلام
والسيف لانتهاء الحكم الثالث وهو جواز اخذ الجزية بانتهاء علته وهي حاجة اهل الاسلام
الى المال على ما افصح عنه بقوله ويفيض المال اي يكثر حتى لا يقبل احد وبما اشرنا اليه ارتفع ما قيل
قد ورد في الخبر عن خير البشر نزول عيسى ع فيما بعد فهو آخر الانبياء ع لما ذكره الفاضل
التفتازاني في شرحه للعقايد حيث قال لان شريعته قد نسخت فلا يكون اليه وحي ونصب
احكام بل يكون خليفة رسول الله ع لان انتساخ شريعته لا يقتضي ان لا يكون اليه وحي
فان صاحب الوحي لا يلزم ان يكون صاحب شريعة واما انه ع افضل الانبياء ع فالدليل
القاطع له اجماع المسلمين على ما نص عليه الفاضل التفتازاني حيث قال في شرحه للمقاصد و

واجمع المسلمون

واجمع المسلمون على ان افضل الانبياء محمد ع الا ان ما ذكره في معرض السند للاجماع قوله
لان امته خير الامم كقوله تع كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وتفضيل
الامة من حيث انه تفضيل للرسول الذي هو امته وفي شرحه للمقاصد ولا شك
ان خير الامة لحسب كمالاتهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه لا يصلح سندا
له لان خيريتهم في الدنيا بزيادة تعظيمهم للغير فان خير الناس من ينفع الناس وهذا هو الظاهر
مما روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رض كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس
تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام وخيريتهم في الآخرة بكثرة
ثوابهم على ما افصح عنه ما اخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله الا انكم الاعجمون فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عددا واقل خطاء
والسر في ذلك انهم صدقوا الانبياء كلهم بخلاف سائر الامم فان كلا منهم ما صدق
الا نبيه ومن قبله من الانبياء عليهم السلام وقد نبه الرسول على هذا السر حيث قال
فيما كتب الى هرقل اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين قال الشارح الكرماني مرة للايمان
بنبيهم ومرة للايمان بنبينا والظرفية لاحد المعنيين المذكورين للامة لا يكون دليلا على افضلية
رسولهم وكذا الآية الثانية لا يصلح سندا للاجماع المذكور لان في تحاميها وهو قوله تع لتكونوا
شهداء على الناس ولانه على ان المراد من الوسطية الظرفية لها ما ثبت في الشهادة على سائر
الامم ومرجعها الى الفضيلة المستفادة من تصديقهم الانبياء ع كلهم وكذا قوله تع وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لا يصلح سندا له لان ما ذكره في وجه من ان يرحم به غيره
فهو افضل من غيره انما يتمشى ان لو كان العالمين على عمومه والنظر بقرينة قوله ارسلناك
ان المراد منه من كان بعد بعثته ع هم نعم قوله تع وما ارسلناك الا كافة للناس يصلح سندا
له لان موجبه ان يوجب على سائر الامم نبياء ع هم اتباعه ان لو كانوا احياء في زمانه
ع هم او بعد بعثته كما وجب على عيسى ع هم على ما افصح عنه ع هم بقوله لو كان موسى حيا
ما وسعه الا اتباعي قال الفاضل التفتازاني في شرحه للمقاصد فان قيل ليس عيسى ع هم
حيا بعد نبينا رفع الى السماء وسينزل الى الدنيا فلنا بلى ولكنه على شريعة نبينا اذ لا بعد الا

الا اتباعه على ما قاله عم في حق موسى عم انه لو كان حيا لما وسعه الا اتباعي فيتضح انه خاتم
الانبياء عم بمعنى انه لا يبعث نبي بعدي الى هنا كلامه ومبنى بناء تعليله بقوله اذ لا يسعه
الا اتباعه على ما قاله عم في حق موسى عم على ان الحكم المذكور غير مخصوص بموسى عم بل يعم سائر
الانبياء عم للاشتراك في العلة وهو كونه عم مبعوثا الى كافة الناس شريعة مؤبدة مشتملة
من الاحكام العامة التي وردت في موارد مخصوصة هذا هو الوجه للحديث المذكور لا ما قد يتوهم
القاضي البيضاوي حيث قال في تفسير قوله تع فآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم وتقييد المنزل به
بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها
في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن
المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها يراعى فيه مصالح من خوطب
بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه وكذلك قال عم لو كان موسى عم حيا لما وسعه
الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لانبا في الايمان به بل يوجبه اذ على ما ذكره ينعكس الكلام المذكور
فانه يصح ان يقال لو كان محمد عم حيا في زمن موسى عم حيا لما وسعه الا اتباعه ولا يخفى ما في الملك
وعلى ما ذكرناه لا ينعكس الكلام لان شرع موسى عم في معرض النسخ بخلاف شرع نبينا عم
فالحديث المذكور على المعنى الذي ذكرناه قد دل على افضلية نبينا عم على سائر الانبياء عم ضرورة
ان المتبوع من شانه ان يكون متبوعا افضل من التابع ومن شانه ان يكون تابعا والتخصيص
الظاهرة في هذا المقام الباب قوله عم انا سيد ولد آدم ولا فخر لان المراد من ولد آدم كافة
البشر على ما ينادي عليه قوله في آخر الحديث آدم فمن سواه الا تحت لوائي وتمام الحديث
على ما اخرجه صاحب المصابيح عن ابي سعيد الخدري رض انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر
وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من
تنشق عنه الارض ولا فخر والفاضل التفتازاني لغفوله عن تمام الحديث قال في شرحه للمقاصد
والاستدلال بقوله عم انا سيد ولد آدم ولا فخر ضعيف لانه يدل على كونه افضل من آدم عم
بل اولاده ومنها قوله عم انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر ومن خصائصه الفاضلة

المفضلة

المفضلة له على غيره كونه مبعوثا الى الثقلين وخاتما للانبياء والرسل ونسخ شريعته لسائر
الشرايع وقيام شهادته يوم القيمة على كافة البشر وبقاء معجزاته الظاهرة الباهرة على وجه
الزمان وقوله تع ورفع بعضهم درجات اشارة الى ذلك فعلى العلامة الزمخشري في الكشاف
اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعضا وتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة
والظاهر انه اراد محمدا عم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المكاثرة
المرتقية الى الف آيات او اكثر ولو لم يؤت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر
ما اوتي الانبياء لانه المعجزات الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا المقام
من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمنير الذي
لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر
واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه الى هنا كلامه ولقد
احسن فيه الا انه لم يصب في تجويزه ان يكون المراد بالبعض المذكور غيره عم وتأييده
ذلك الاحتمال بقوله وعن ابن عباس رضه كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء عم فذكرنا
نوحا عم بطول عبادته وابراهيم عم بخلته وموسى عم بتكليم الله تع اياه وعيسى عم برفعه
الى السماء وقلنا رسول الله عم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وهو خاتم الانبياء محمد عم فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا
من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها اما عدم اصابته في التجويز المذكور
فقط لان المستحق للتفضيل على الوجه المذكور من هو افضل الانبياء عم باجماع المسلمين واما
اورده في معرض التأييد فدفوع لا بما قاله في امثاله من انه تواضع منه عم لان المقام يأباه وما في
الكلام لا يحتمله وما ذكره في معرض التعليل لا ينتظم حتى بل بان يقال مراده عم ان في كل نبي
من الانبياء الكرام عم نوع فضيلة لمحضه فلا وجه لتخصيص بعضهم من بينهم بالامتياز من تلك
الجهة فالمنفي في قوله عم لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا آه الخبرية من جميع الوجوه ولهذا ذكر في مقام
التعليل ان ليحيى عم فضيلة لا يشاركه فيها غيره وبما قررناه خرج الجواب عن تمسك المخالف
بمثل قوله اني خير من يونس بن متى واما الحمل على التواضع فلا يحتمله ما ورد في حديث آخر

اني

من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اخرجه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضه وانما
قلنا بمثل قوله تعميما لقوله ع لا تخيروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيمة
فاكون اول من يفيق فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي
ام جزي بصعقة الطور واما قوله ع في جواب من قال ما خير البرية ذاك ابراهيم ع اخرجه مسلم
في صحيحه فلا يتمشى فيه ما ذكرناه ولا ما ذكره القوم من حديث التواضع فالوجه فيه ان يقال ان ما خيرية
باعتبار النفع للغير ولهذا قال ع مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره ولا بعده تفضيله
ع ابراهيم ع على نفسه من هذه الجهة لانه ع اثر دعوته على ما افصح عنه بقوله انا دعوة
ابي ابراهيم اراد بدعوته ما ورد في قوله تع حكاية عنه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فتفعة ع
من جملة منافع ابراهيم ع واما احتجاج المخالف على تفضيل عيسى ع على نبينا ع بانه في السماء
وفي زمرة الاحياء فالجواب عنه ان كونه ع حيا بعد تكميل النفس واكماله الدين انفع من كونه
حيا اما في حق نفسه فقط فان تعلق النفس بالبدن للمصلحة التكميل فعند فراغها عن تلك المصلحة
حقها ان يقطع علاقة البدن ويرجع الى اصلها وما يليق بشانها من التجرد واما في حق الامة
فلما فيه من الرحمة على ما افصح عنه ع بقوله اذا اراد الله رحمة امة من عباده قبض نبيها
قبله لها فرطا وسلفا بين يديها ثم ان في كونه ع مدفونا في الارض غير مدفوع الى السماء
نفعا آخر للامة حيث صارت روضته المقدسة مهبطا للبركات ومصعدا للدعوات وموطنا
للاجتماعات على الطاعات الى غير ذلك من انواع الخيرات ثم ان كون عيسى ع في زمرة الاحياء لمصلحة
احيا، وبينه ع في آخر الزمان بدلالة انه ينزل من السماء ويكون خليفة له ع فالشرف من الوجه
المذكور رجع الى نبينا ع فما ذكره المخالف في معرض الاحتجاج لنا علينا قال الامام
الرازي في التفسير الكبير اجمعت الامة على ان بعض الانبياء افضل من بعض وان محمدا ع
افضل من الكل وقال الفاضل النفتازاني في شرحه للمقاصد واختلفوا في الافضل بعد ع فقيل
آدم ع لكونه ابا البشر وقيل نوح ع لطول عبادته ومجاهدته وقيل ابراهيم ع لزيادة
توكله واطمئنانه وقيل موسى ع لكونه كليم الله تع ونجيه وقيل عيسى ع لكونه روح الله تع
وصفيه وفضله النصارى على الكل وقال الامام القرطبي في تفسير قوله تع تلك الرسل فضلنا بعضهم

على بعض وهذه آية متكلمة والاحاديث ناطقة بان النبي ع قال لا تخيروا بين الانبياء
ولا تفضلوا بين انبيا الله رواها الائمة الثقات اي لا تقولوا فلان خير من فلان وفلان
افضل من فلان يقال خير فلان من فلان وفضل مشددا اذا قال ذلك وقد اختلف
العلماء في تاويل هذا المنع فقال قوم ان هذا كان قبل ان يوحى اليه بالتفضيل وقبل ان
يعلم ان سيد ولد آدم وان القرآن ناسخ للمنع من التفضيل وقال ابن قتيبة انما اراد بقوله
انا سيد ولد آدم يوم القيمة لانه الشافع يومئذ وله لواء الحمد والحوض واراد بقوله لا تخيروني
على موسى ع على طريق التواضع كما قال ابو بكر رضه ولستم بخيركم وكذلك منع قوله
لا انا خير من يونس بن متى على معنى التواضع وفي قوله ع ولا تكمن كصاحب الحوت
ما يدل على ان الرسول ع افضل منه لان الله تع يقول ولا تكمن مثله فدل على ان قوله
لا تفضلوني من طريق التواضع ويجوز ان يكون المنع لا تفضلوني عليه في العمل ولعله
افضل مني ولا في البلوى والامتحان فانه اعظم مني وليس ما اعطاه الله تع لنبينا ع
من السؤدد والفضل يوم القيمة على جميع الانبياء والرسل ع بجعله بل بتفضيل الله تع
اياه واختصاصه له وهذا التاويل اختاره المحب الطبري وهو كلامه ولا يذهب عليك ان ما ذكره
في بيان المراد من قوله ع انا سيد ولد آدم لا يجدي نفعا في رفع التدافع المتوهم بين قوله
تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقوله ع لا تخيروا بين الانبياء وحل ذلك الاشكال
ومساق الكلام انما هو فيه واما ما ذكره من حديث التواضع فقد تبين فيما تقدم على
ما فيه فتذكر والدلالة التي ادعاها في قوله تع ولا تكمن كصاحب الحوت في معرض المنع
لان المنع والله اعلم ولا تكن كصاحب الحوت في خصوص الحالة التي نقلت عنها وفضله
ع عليه في حالة لا يستلزم فضله عليه في سائر الحالات ثم قال الامام المذكور في تفسيره
المذكور ومنهم من قال انما نهى عن الخوض في ذلك ذريعة الى الجدل وذلك يؤدي الى ان
يذكر منهم ما لا ينبغي ان يذكر وقيل لا خير اعند المجاز فلان افضل من فلان ولا خير منه
كما هو ظاهر النهي لما يتوهم من النقص في المفضول فالنهي اقتضى منع اطلاق اللفظ لمنع
اعتقاد ذلك المعنى فان الله تع اخبر بان الرسل متفاضلون فلا نقول ان نبينا ع خير